الفصل الرابع

ملامح الكاريكاتير السياسي في فترة السادات (١٩٧٠-١٩٨١)

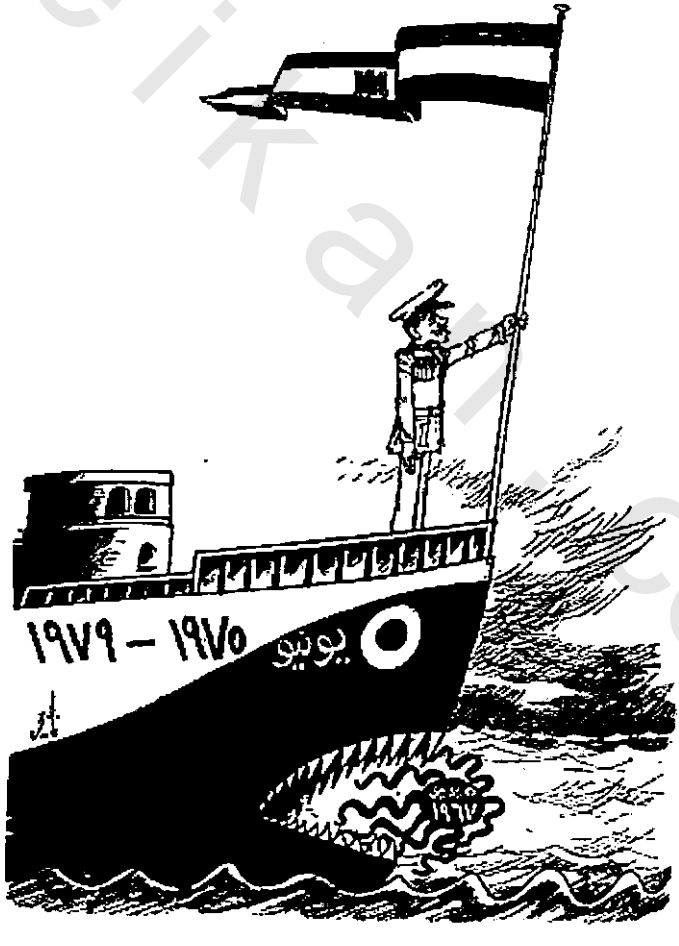

obeikan.com

الفصل الرابع

ملامح الكاريكاتير السياسي في فترة السادات (١٩٧٠-١٩٨١)

كان واضحًا أن الرئيس الراحل محمد أنور السادات قد أختار مسارًا مختلفًا تمامًا عن سياسات ناصر التأميمية والمناهضة للامبريالية الغربية. فقد أتى السادات إلى السلطة وهو يحمل على عاتقه مسؤولية صعبة في أجواء اتسمت بالحزن وخيبة الأمل، فمازالت نكسة ٦٧ تخيم بظلالها على الجميع في الوقت الذي تمرح فيه إسرائيل داخل الأراضي المحتلة. وأدرك السادات بأن القوى العظمى لن تقدم ما يساهم في حل الأزمة وإرغام إسرائيل للعودة لحدود ما قبل ٦٧، فيبدو أنهم وجدوا أن من الأمثل لهم تجمد الوضع على ما هو عليه. وبالتالي آمن السادات بوجوب شن عمل عسكرى يحرك المياه الراكدة ويرغم إسرائيل على رفع يديها من على الأراضي المغتصبة، ويعيد للمصريين كرامتهم وهيبتهم. وكان مدركًا بأن أوراق اللعب أصبحت الآن مع أمريكا، فطرد الروس ليتمكن من فتح قنوات ودية مع الولايات المتحدة.

ولعب السادات دائمًا على عنصر المفاجأة، فلم يقرع الإعلام المصري هذه المرة طبول الحرب ولم يعزف على مزمار النصر، بل على العكس كانت هناك موجة من اليأس والملل من طول انتظار حدوث فعل حقيقي يرجع الأرض والكرامة. لتكون مفاجأة السادات الأولى بشن معركة العبور التي أحبطت عدد من النظريات العسكرية تقول باستحالة عبور القناة.

لم يلحق المصريون تجرع كئوس النصر حتى وقعت على مسامعهم مفاجأة السادات الثانية وهي استعداده للذهاب إلى إسرائيل في عقر دارهم واستعداده لإقامة سلام معهم. وتوالت المفاجئات!

وضيق السادات في فترة حكمه الخناق على معارضيه الذين لم يجدوا قنوات شرعية للتعبير عن رفضهم لجوانب من سياسته وأثر ذلك بالتبعية على الرسوم الكاريكاتورية التي وجدت ضالتها في نقد سياساته الانفتاحية التي أدت إلى تدهور الاقتصاد المصري ومزيد من الغلاء وارتفاع الأسعار.

افتتاح السد العالي ١٩٧١:

لا أحد يستطيع أن ينكر أهمية مشروع قومي كمشروع السد العالي. المشروع الذي أمن للأراضي الزراعية قدرًا من مياه النيل على مدار العام وحماها من الفيضانات وأدخل الكهرباء إلى

العديد من القرى والنجوع.

ولم يكن النهوض بهذا المشروع سهلًا بل دفعت مصر ثمنًا كبيرًا مقابلًا لذلك. فقد كان لابد من توفير تمويل كبير للمساهمة في تنفيذ مشروع ضخم كهذا. وبعد أن وافقوا على تمويل بناء السد، سحب كل من البنك الدولي والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا عروضهم كشاهد على سيطرة الامبريالية وعلاقتها بالشعوب النامية. وكرد فعل لهذا أعلن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر تأميم قناة السويس كشركة مساهمة مصرية، ليحقق حلم بعيد المنال وهو حلم استرجاع القناة من تحت سيطرة الاستعمار، ليسفر عن العدوان الثلاثي سنة ١٩٥٦ الذي انتهى بالانسحاب المخزي لكل الأطراف. وبمساعدة الاتحاد السوفيتي استطاعت مصر بدء العمل في بناء السد العالي في ٩ يناير ١٩٦٠ والانتهاء من تنفيذ المرحلة الأولى منه في ١٦ مايو ١٩٦٤.

لم يمهل القدر عبد الناصر ليرى مشروعه وقد دبت في شرايينه الحياة وأصبح حقيقة واقعة وشاهدًا على أن موارد الثروة لن تكون أبدًا إلا في أيدي أصحابها. واحتفل السادات والرئيس السوفيتي نيكولاي بودجورني باكتمال بناء السد العالي في ١٥ يناير ١٩٧١. ولهذه المناسبة رسم صاروخان بصحيفة "أخبار اليوم" كل من جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل في ذلك الوقت وموشي ديان وزير الدفاع وقد أعتلتهما صدمة شديدة وهما يتابعان اندفاع الماء حارجًا من بوابات السد. وفي كاركاتير آخر، رسم صاروخان كل من جولدا مائير وموشي دايان قصيرين جدًا في الحجم وقد استشاطا غضبًا وهما يتابعان الرئيسين السادات وبودجورني يتصافحان للتعبير عن مدى أواصر الصداقة بينهما.

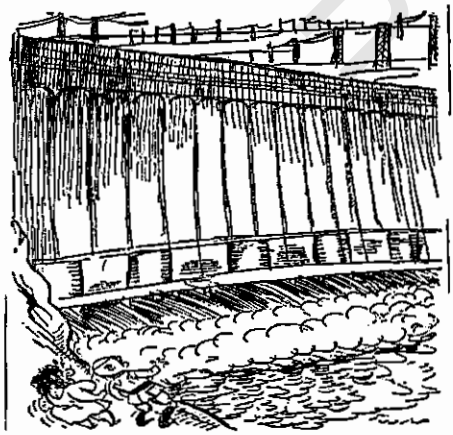

شكل ١٤٧: افتتاح السد العالي!

"جولدا مائير: الشعب اللي قدر على ده كله، يقدر على أي حاجة..."

(أخبار اليوم، ١٦ يناير ١٩٧١)

شكل ١٤٨: الصداقة المصرية السوفيتية!

"مائير: يا ترى من أعلى من الثاني..؟"

"ديان: الاثنين أصعب من بعض..!!"

(أخبار اليوم، ٢٣ يناير ١٩٧١)

نلاحظ أن أسلوب صاروخان في الرسم قد اختلف قليلًا عن ما قبل الثورة. فقد أصبح يحاكي أسلوب شبلب الرسامين في هذه الفترة باختزال التفاصيل الكثيرة والمعقدة إلى خطوط بسيطة ورشيقة في غياب للخطوط الكثيفة والظلال العنيفة والتكتلات السوداء.

حرب أكتوبر ١٩٧٣:

ازدادت مشكلة الشرق الأوسط تعقيدًا يومًا بعد يوم، فبعد أن بحت الأصوات من قبل وهي تنادي بوجوب التخلص من إسرائيل رافضة لقرار التقسيم، أصبحت اليوم تنادي بالعودة لحدود ما قبل ١٩٦٧. وأصبح واضحًا أنه يستوجب رد فعل قوي يمسح عار الهزيمة ويسترجع الأراضي المغتصبة.

أعطى السادات ظهره للاتحاد السوفيتي وبدأ في التودد للولايات المتحدة بعد أن فطن إلى أن أوراق اللعب أصبحت معها. ولم يثمر التودد عن أي ضغط يذكر على إسرائيل بعد أن وجدت أمريكا فيها ما يؤمن مصالحها في الشرق الأوسط. وتدخلت الأمم المتحدة بإرسال مبعوثها في الشرق الأوسط جونار يارنج في محاولات يائسة لإرغام إسرائيل للانسحاب إلى حدود ما قبل ٦٧، ليكون تعنت إسرائيل وعدم امتثالها لقرار الأمم المتحدة نصرًا سياسيًا آخر لها.

ووصفت الرسوم الكاريكاتورية سياسة الولايات المتحدة بالسلبية وغير المنصفة، ومجهودات الأمم المتحدة بعديمة الجدوى والضائعة. ففي كاريكاتير لحجازي، يحمل موشى دايان (رمز المؤسسة العسكرية الإسرائيلية) بندقية وهو جالس في قبعة العم سام، والأخير يقول لبارنج مبررًا: "بحاول اضغط على إسرائيل عشان تنسحب ما فيش فايدة!"، في إشارة إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية هي الراعي لموقف إسرائيل المتعنت.

شكل ١٤٩: مبعوث الأمم المتحدة في الشرق الأوسط !!
(روزاليوسف، ٨ نوفمبر ١٩٧١)

وصور الرسام زهدي العدوي في كاريكاتير مبدع بارنج وهو يقود سيارة تابعة للأمم المتحدة يرافقه فيها رجل رأسه على هيئة كرة أرضية (يمثل الأمم المتحدة) متوجهان إلى محطة السلام في الشرق الأوسط، ولكن يسد طريقهما عنكبوت ضخم رأسه على هيئة موشى دايان (رمز المؤسسة العسكرية الإسرائيلية) يتوسط شباكه التي نسجها على هيئة نجمة داود (رمز التوسع الصهيوني). يحدث بارنج رفيقه قائلًا: "عشان نوصل..لازم نفوت في الخيوط دي ونقطعها". يشير زهدي هنا إلى وضع الأمم المتحدة العاجز أمام التوسع الصهيوني اللاقانوني ويفيد بأن الحل الأمثل في هذه الحالة هو استخدام القوة عملًا بالقول "ما أخذ بالقوة لا يرد إلا بالقوة".

شكل ١٥٠: مبعوث الأمم المتحدة في الشرق الأوسط ٢!
(روزاليوسف، ١٢ إبريل ١٩٧١)

وصور حجازي الغرور الإسرائيلي على هيئة ديك رومي نافشًا ريشه في زهو ويحمل بندقية وتختبئ إحدى عينيه وراء عصابة (يمثل موشى دايان رمز المؤسسة العسكرية الإسرائيلية) ومزين ريشه بنجمة داود وعلم أمريكا. ويخاطب يارنج الديك قائلًا: "بيقولوا لك انسحب بالذوق أحسن؟" ليرد الغرور الإسرائيلي بكلمة "لا" عشر مرات.

شكل ١٥١: مبعوث الأمم المتحدة في الشرق الأوسط ٣!
(روزاليوسف، ٢٠ ديسمبر ١٩٧١)

بات واضحًا موقف الولايات المتحدة الموالي لإسرائيل وأصبح لا يرجى من الاعتماد عليها أو على سياستها في حل أزمة الشرق الأوسط. كما اتضح فشل الأمم المتحدة ومبعوثها في حث إسرائيل على الانسحاب لحدود ما قبل ٦٧. وازداد الشعب المصري تعطشًا لفعل حقيقي وليس لوعود مثلها في ذلك مثل السراب. وازدادت ريشة رسامي الكاريكاتير تعطشًا لخط حدود سيناء المصرية، وتعطشًا لحدث يشفي غليل شعب وصفته من قبل بالشعب الذي لا يقهر. رسم أحمد حجاري بعد ثلاث سنوات من النكسة كل من موشي دايان وجولدا مائير وعلى وجههما علامات السرور والسعادة وأمامهما طفلة جميلة أشير اليها بـ "أزمة الشرق الأوسط اللي عمرها دلوقتي ٣ سنين ونص" وعم سام يخاطبها قائلًا: "كل سنة وانت طيبة يا حبيبتي، وأعيش وأشوفك وانتي عروسة..!!" والحق أن أزمة الشرق الأوسط كبرت واتجوزت وأنجبت مجموعة أزمات "زي القمر". وفي كاريكاتير لزهدي العدوي في إبريل عام ١٩٧١، حمامة السلام محلقة فوق أرض سيناء وقد استبدلت غصن الزيتون ببندقية صغيرة.

شكل ١٥٢: أزمة الشرق الأوسط!
(روزاليوسف ٣ يناير ١٩٧١)

شكل ١٥٣: الحل السلمي اليوم!
(روزاليوسف. ٢٦ إبريل ١٩٧١)

وتنبأ حجازي بأن الوقت قد حان للحرب وإرجاع الحق لأصحابه. فرسم حلاق منفعل وهو بيحلق شعر "زبون" ويقول له مفسرًا: "هس.....اقرأ الجرايد وانت تعرف!" وعنوان رئيسي على الصفحة الأولى لجرنال وضع على مقربة منه يقول: "إعداد الدولة للحرب".

شكل ١٥٤: إعداد الدوله للحرب!
(روزاليوسف، ١٩ إبريل ١٩٧١)

وفي كاريكاتير آخر لحجازي جنديين مصريين، يخاطب الأول الآخر قائلًا: "حصل في ٥٦ وحرب ٦٧، لكن التالتة تابتة..!" ولا أعلم لماذا أغفل حجازي عن أنه حصل أيضًا في ٤٨ وأن القادمة هي محطتنا الرابعة مع إسرائيل. وارتسمت على وجههما ملامح التفاؤل والثقة والارتياح لقرار الحرب.

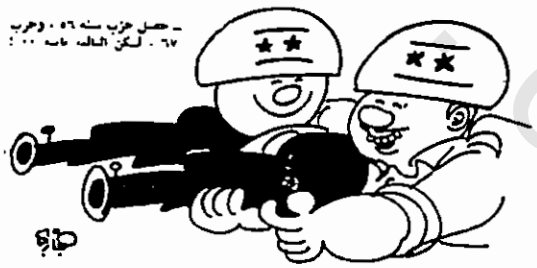

شكل ١٥٥: التالته تابته!
(روزاليوسف، ١٩ إبريل ١٩٧١)

وفعلًا "التالتة تابتة" كما تنبأ حجازي، فقد حصل العبور في ٦ أكتوبر ١٩٧٣ (١٠ رمضان ١٣٩٣)، ليس فقط العبور من ضفة مصرية إلى أخرى مصرية، إنما العبور بقلوب

المصريين من ضفة الانكسار والهزيمة إلى ضفة النصر والعزيمة، والذي حطم النظريات العسكرية التي تفيد باستحالة عبور خط بارليف وبالتالي قضى على الأكذوبة القائلة بأن جيش إسرائيل لا يقهر، ليعكس أقوى وأعمق إحساس بالنصر خاصة عندما يكون نصر بعد هزيمة. كان عبور أقوى خط دفاعي هو بمثابة طوق النجاة الذي تلقفته الجماهير المصرية لتبرد نار نكستها وترطب به جروحها التي لم تلتئم بعد. كفل العبور السيادة الكاملة على قناة السويس مع استرداد جزء من الأراضي في شبه جزيرة سيناء وعودة مدينة القنيطرة للسيادة السورية.

وافقت القوات العربية على الفور على وقف إطلاق النار في ٢٢ أكتوبر بعد أن أفاق الجيش الإسرائيلي من هول المفاجأة واستطاعت قواته اختراق الضفة الغربية لقناة السويس مرة أخرى فيما يعرف بمعركة الثغرة، لتبدأ مرحلة جديدة من المفاوضات تحت إشراف الأمم المتحدة عند الكيلو ١٠١ طريق القاهرة – السويس.

واختلفت آراء المحللين حول قرار الموافقة على وقف إطلاق النار. يرى البعض القرار على أنه خيبة عربية وسارينة إنقاذ لإسرائيل بعد أن لاح في الأفق امكانية إرجاع كل الأراضي المنهوبة بما فيها فلسطين وإن معركة الثغرة ما هي إلا دعاية إسرائيلية لتثبيط العزيمة المصرية، بينما يرى آخرون بأنه كان قرارًا صائبًا (دروس ٦٧) وأن ما تم إنجازه خلال الحرب كان وفق خطة مدروسة.

كان العبور الكلمة السحرية التي ألهمت العديد من الرسامين لتتراقص فرشاتهم وهي تعزف لحن النصر. ومن أجمل ما رسم تخليدًا لهذه اللحظة التاريخية وتعبيرًا عن إرادة مصر وثباتها لوحة كاريكاتورية تصدرت غلاف "روزاليوسف" بريشة المبدع حجازي وفيها يصور مصر على هيئة امرأة ذات عيون فرعونية يتلألأ من أذنيها قرط على شكل هلال ويتوج شعرها الأهرامات الثلاثة، ويعكس رداؤها أمواج الضفة، وبيد قوية وثابتة تقتلع من أرض سيناء شجرة ضخمة (الاحتلال الصهيوني) بجذورها الكثيرة المتشعبة. ويعلو الشجرة ثمار كثيرة، ترمز كل واحدة فيها إلى موشي دايان رمز المؤسسة العسكرية الإسرائيلية.

شكل ١٥٦: سيناء!

(روزاليوسف، ١٥ أكتوبر ١٩٧٣)

وفي كاريكاتير آخر، صور حجازي صدمة المؤسسة العسكرية الإسرائيلية من سرعة العبور، وصور نجاح القوات المصرية في التصدي لتوسع إسرائيل في المنطقة، كما صور الغرور الإسرائيلي قبل وبعد العبور.

شكل ١٥٧: العبور !!

(روزاليوسف، ٢٩ أكتوبر ١٩٧٣)

شكل ١٥٨: العبور ٢!
(روزاليوسف، ٢٩ أكتوبر ١٩٧٣)

شكل ١٥٩: الغرور الإسرائيلي!
(روزاليوسف، ١٥ أكتوبر ١٩٧٣)

ولقب الرئيس أنور السادات وقتها ببطل العبور وأصبح الذهول هو لسان حال إسرائيل ولسان حال المجتمع الدولي خاصة أمريكا. ورسم حجازي الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون يخاطب بلهجة شديدة كل من جولدا مائير وموشى دايان قائلًا: "ايه الخيبة اللي حصلت دي، يعني أعمل إسرائيل غيركم في المنطقة؟"، في إشارة لصدمة أمريكا في حليفتها إسرائيل.

شكل ١٦٠: الخيبة الكبيرة!

(بروزاليوسف ١٥ أكتوبر ١٩٧٣)

ونرى النسر المصري (نشر بروز اليوسف في ١٥ أكتوبر) والذي نادرًا ما نراه في الرسوم معلقًا على الأحداث محلقًا في السماء بعد أن أحكم قبضته على "موشى دايان" في هيئة أفعى. ومع احتفالات السنة الجديدة (١٩٧٤)نشر كاريكاتير للفنان رؤوف عياد وفيه جولدا مائير تحدث موشى دايان قائلة: "شوف لنا نتيجه بأه ما يكونش فيها اكتوبر..!!"

شكل ١٦١: السنه الجديدة!

(روزاليوسف ١٤ يناير ١٩٧٤)

يلاحظ أن الرسوم قد خصت نصر أكتوبر من زاوية مصرية بحتة وركزت على عودة سيناء واختراق "أقوى" حاجز دفاعي في قناة السويس إلا أنها لم تشر بشكل أو بآخر لوضع سوريا ولا موقعها من الحرب خاصة وأنها قد شاركت في الحرب.

سياسة الانفتاح ١٩٧٤:

اختار السادات مسارًا مختلفًا عن سياسات ناصر التأميمية، فقد تبنى ما يعرف بسياسة الانفتاح ويقصد بها "فتح" مصر على العالم الخارجي وتشجيع الاستثمار العربي والأجنبي تقريبًا في جميع المجالات. وأعطى ضمانات للمستثمرين ليكونوا في مأمن من التأميم أو المصادرة. إلا أن سياسة الانفتاح هذه أدت إلى مزيد من الانهيار للاقتصاد المصري، فقد تم فتح الأسواق المصرية على البضائع الغربية التي لم تجد بين أغلب البضائع المحلية منافسًا قويًا. وبالتالي تم إضعاف القطاع العام الركيزة الأساسية للاقتصاد المصري في حقبة الستينيات، والذي عانى من انعدام الأمان وعدم قدرته على منافسة الواردات. ومع عدم وجود خطة مدروسة ومعده لشكل الاستثمار في مصر ودوره في عجلة التنمية ذهب أغلبه إلى كل ما يضمن الربح السريع من سياحة وعقارات وبنوك[١].

وبسبب قرار الحكومة برفع أسعار المزيد من السلع الرئيسية ومن بينها "العيش"، اندلعت مظاهرات شعبية عارمة في يناير من عام ١٩٧٧ اعتراضًا على القرار واعتراضًا على موجة الغلاء فيما عرفت بمظاهرات الخبز، في حين نعتها السادات بـ "انتفاضة الحرامية"، فلم يصدق أن ثمة مظاهرات شعبية خرجت تهتف ضده هو...ضد بطل العبور!

وفيما يبدو أن السادات قد استغل الأحداث للتخلص من اليسار والانقلاب على الخط الديمقراطي الذي بدأه، ولقد برأت المحكمة اليسار من ضلوعه في الأحداث، ولم يعرف أحد حتى الآن من وراء حوادث التدمير في أحداث ١٧ و١٨ يناير ١٩٧٧[٢].

ومن المدهش والمحبط في نفس الوقت أن الرسوم الكاريكاتورية التي تناولت الانهيار الاقتصادي وتدني متوسط دخل الفرد في تلك الفترة مازالت صالحة للنشر حتى الآن وهذا ليس "بناءً على رغبة الجماهير" وإنما لأنها لسان حال المواطن المصري الذي لم يتحسن إن لم يكن ازداد سوءًا.

وأصبحت الرسوم "تنفض" جيب المواطن المصري أول بأول أو "تخرمه" وتعلن إفلاسه، كما تركز على "اللحمة" لتحقيق أمل محدودي الدخل في رؤيتها ولو حتى على الورق. وأصبح الجزار العدو اللدود الأول للمحرومين من اللحمة من محدودي الدخل.

---

(١) ديريك هوبوود:

Derek Hopwood. (1993). Egypt: politics and society, 1945-1990 (3rd ed). London: Rout ledge.

(٢) د. عبد العظيم رمضان، "الصراع الاجتماعي والسياسي في عصر مبارك"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣، ص: ٣٦٨.

إلا أن بعض الجزارين أبدوا تعاطفًا لعشاق اللحمة من غير القادرين بالسماح لهم بتقبيلها كما في كاريكاتير لصلاح الليثي (شكل ١٦٢) تحت عنوان "للجوع العاطفي!"، وفيه الجزار واقفًا خلف "فخذة" معلقة مسعرة بـ "١٢٠ قرشًا" للكيلو وملطخة بالشفايف.

وفي كاريكاتير آخر، يظهر سعر اللحمة وكلمة "مرحبًا" باللغة الإنجليزية في إشارة إلى أن الجزارين أصبحوا يستهدفون زبائنهم من السائحين القادرين بدلًا من المصريين المعدومين. وسجل الليثي سعر اللحمة هذه المرة بـ "١٤٠ قرشًا" وقد تكون الزيادة هنا فرق عملة!!!

جزار ـ .. للجوع العاطفى .. !!

شكل ١٦٢: اللحمة ١!

(روزاليوسف، ١ يوليو ١٩٧٤)

للاجانب .. والسواح !

شكل ١٦٣: اللحمة ٢!

(روزاليوسف، ١ يوليو ١٩٧٤)

تمتاز ريشة صلاح الليثي بنمطها الفريد. فهو يعتمد على التلخيص الجيد للشخصيات في شكل خطوط أكثر منها مساحات لونية مما يجعل رسومه أقرب للإسكتشات في بساطتها، والحق أنها تضيف متعة حقيقية وأنت تشاهدها.

وربط رؤوف عياد بين الانفتاح والتضخم عندما رسم مريضًا وهو يعاني من انتفاخ في بطنه يخاطب طبيبه قائلًا: "تضخم إيه يا دكتور..ده اسمه انفتاح على الأكل!!" وفي كاريكاتير آخر، رسم رؤوف رجلًا يخير زوجته ما بين الذهاب للمصيف أو شراء أحذية لأولادهما في إشارة لارتفاع الأسعار بشكل كبير.

شكل ١٦٤: التضخم!

(روزاليوسف، ١ إبريل ١٩٧٤)

شكل ١٦٥: الأسعار!

(روزاليرسف، ١ يوليو ١٩٧٤)

مباحثات كامب ديفيد للسلام ١٩٧٨-١٩٧٩:

كما فاجأ السادات العالم بالعبور، فاجأهم بزيارته للقدس عام ١٩٧٧ وإلقاء خطابه الشهير بالكنيست ليدخل في مفاوضات سلام مع إسرائيل انتهت بتوقيعهما على اتفاقية كامب ديفيد في عام ١٩٧٩، مما تسبب في عزل مصر عربيًا وإصابة العديد من المصريين بأمراض الاكتئاب. بعد حوالي ثلاثين عامًا من الصراع العربي الإسرائيلي، غيرت مبادرة السلام مع إسرائيل الخريطة السياسية في المنطقة وزادت شعبية السادات في الدول الغربية خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية.

كان للسادات رؤيته الخاصة وكانت سياسته تقوم على الفردية المطلقة في الحكم فلا اعتبار لديه لمعارضيه. ويؤمن من ناصروا الاتفاقية أنها قد جنبت مصر مكابد الدخول في حروب أخرى وكانت السبب في رجوع سيناء كاملة تحت السيادة المصرية وأعطت لمصر فرصة للتركيز على دفع عجلة التنمية الداخلية واللحاق بزمام الدول المتقدمة (وإن لم يحدث). ويرى آخرون بأن هذا القرار كان بمثابة تحقيق حلم بعيد المنال لكل من أمريكا وإسرائيل في عزل مصر عربيًا وبالتالي تتفرغ إسرائيل لتطوير بنيتها الداخلية لتلحق بزمام الدول الصناعية الكبرى (وقد حدث).

شهدت هذه الفترة توترًا ملحوظًا على الصعيد الداخلي. فلم يسمح بأي متنفس لمعارضي السادات على الساحة الإعلامية. وانقسم رسامو الكاريكاتير كغيرهم حول مباحثات السلام، فقد كان أغلبهم ضد المباحثات ولكنهم لم يستطيعوا أن يعبروا عن رفضهم بسبب الرقابة الصارمة وغياب قنوات للتعبير. نتيجة لذلك، توقف بعض الرسامين عن الرسم، بينما اتجه البعض الآخر إلى رسوم الأطفال، وهناك من فضل الابتعاد تمامًا والهجرة[١]. فقط فئة قليلة كانوا ممن أيدوا مباحثات السلام، وعلى رأسهم ناجي كامل الذي أعرب لي شخصيًا بأنه رسم مع المعاهدة في ذلك الوقت من قبل قناعاته الشخصية الكاملة ولم يرغمه أحد على ذلك، فقد كان ومازال من أشد المؤيدين للسادات وسياساته[٢].

---

(١) رانيا صالح:
Rania M.R. Saleh. (2007, Fall). Political Cartoons in Egypt. International Journal of Comic Art, 2007. 9(2). 187-225.

(٢) رانيا صالح:
Rania Saleh. (2004). Egyptian Political Cartoons: Evolution and Impact As Seen By the Cartoonists Themselves, M.A. Thesis, Department of Journalism and Mass Communication, the American University in Cairo.

كما رسم صلاح جاهين عن مباحثات السلام بعد أن أضاف لها نكهة السخرية من تعنت الجانب الإسرائيلي. ففي إحدى الرسوم، الرئيس الأمريكي جيمي كارتر يخاطب السادات قائلًا: "يا أخي مع أن اللغة العربية والعبرية من أصل واحد ...العربي بيتفهم بسهولة أكثر"، في إشارة إلى أن مصر تبدي تعاونًا أكثر في دفع عملية السلام.

شكل ١٦٦: مباحثات السلام!
(الأهرام، ٩مارس ١٩٧٩)

وكان الرسام جورج بهجوري من أشد المعارضين لمباحثات السلام، ولم يجد قناة شرعية للتعبير عن رفضه إلا خارج مصر. فصور السادات مفلسًا لا يملك إلا جيبين خاويين، رمز لأحدهما "بكامب" والآخر "بدافيد"، كما صور السادات في هيئة شارلي شابلن على المسرح السياسي يقوم بدور مهرج. وأخيرًا رسم بهجوري نفسه يسكب حبرًا على صحيفة يظهر على صفحتها الرئيسية خبر زيارة السادات للقدس.

شكل ١٦٧: السادات !!
(بهجوري، ١٩٨٦)[1]

(١) جورج بهجوري، "الرسوم الممنوعة"، دار العالم الثالث، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥.

شكل ١٦٨: السادات ٢!
(بهجوري، ١٩٨٦)[١]

شكل ١٦٩: زيارة السادات للقدس!
(بهجوري، ١٩٨٦)[٢]

١) جورج بهجوري، المرجع السابق.
٢) جورج بهجوري، المرجع السابق.

وفي عام ١٩٧٨ ومن أجل جهودهما في دفع عملية السلام، حصل كل من الرئيس السادات ورئيس الوزراء الإسرائيلي مناحم بيجين على جائزة نوبل للسلام. ولهذه المناسبة رسم كمال ملاك السلام وهي تقلد السادات ميدالية للسلام.

شكل ١٧٠: جائزة نوبل للسلام!

(روزاليوسف، ١٨ ديسمبر ١٩٧٨)

تم توقيع معاهدة السلام في ٢٦ مارس ١٩٧٩، والتي من بنودها إخلاء سيناء من الإسرائيليين في غضون ثلاث سنوات من تاريخ المعاهدة وتأسيس علاقات دبلوماسية وتجارية مع إسرائيل وتأمين مرور السفن الإسرائيلية في قناة السويس[١].

شكل ١٧١: توقيع إتفاقية السلام في واشنطن!

"التاريخ: اكتب يا ابني بحروف من نور..ستة وعشرين مارس ١٩٧٩!"

(الأهرام، ٢٧ مارس ١٩٧٩)

(١) ديريك هوبوود: المرجع السابق.

انخفضت بشكل كبير شعبية السادات في مصر والدول العربية التي نعتته واتهمته بالخيانة وإتمام معاهدة منفصلة مع إسرائيل وتجاهل القضية الفلسطينية. ونتيجة لذلك، قطعت الدول العربية علاقاتها الدبلوماسية مع مصر، وطردتها من جامعة الدول العربية. ونقد ناجي سياسات هذه الدول في رسومه، فرسم أب ينصح ابنه "الزنان" بعدم البكاء حتى لا يشبه "دول الرفض". وفي كاريكاتير آخر، أوضح بأن سياسات "دول الرفض" هي التي ستدفع الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات (يمثل فلسطين) إلى الهاوية. وصور صلاح جاهين التناقض الرهيب بين سياسات بعض الدول العربية المعلنة وحقيقة ما ترغب فيه وتسعى إليه في الخفاء، ففي الوقت الذي يدين فيه الرئيس السوري حافظ الأسد المعاهدة، يتمنى في قرارة نفسه معاهدة مثلها.

شكل ١٧٢: دول الرفض ١!
(صباح الخير، ٥ إبريل ١٩٧٩)

شكل ١٧٣: دول الرفض ٢!
(صباح الخير، ٥ إبريل ١٩٧٩)

شكل ١٧٤: دول الرفض ٣!

"أجهزة الرفض تفتح ميكروفوناتها على معاهدة السلام"

" إننا نشجب..ونندين..ونستنكر معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية وعايزين واحدة زيها!"

(الأهرام، ٢٠ مارس ١٩٧٩)

وفي ذكرى النكسة، رسم ناجي كامل مؤيدًا لسياسات السادات، فصور السادات وهو يقود سفينة عملاقة على شكل سمكة قرش (تمثل اتفاقيات السلام ١٩٧٥-١٩٧٩) وقد ابتلعت أخطبوطًا (نكسة ٥ يونيو ١٩٦٧).

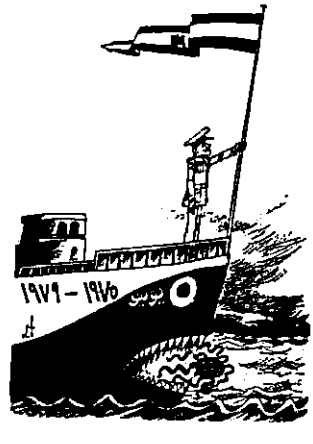

شكل ١٧٥: ذكرى النكسة!

(صباح الخير، ٧ يونيو ١٩٧٩)

وبعد مرور حوالي ثلاثين عامًا على الاتفاقية، أقر بعض الرسامين (الذين كانوا ضدها وقتها) أن رؤيتهم لها الآن قد اختلفت، فقد أدركوا بأن قرار السادات كان حكيمًا وقد جنب مصر بالفعل الكثير من الخسائر سواء على الصعيد العسكري أوالاقتصادي[1].

اغتيال السادات ١٩٨١:

يأتي يوم ٦ أكتوبر حاملًا معه ذكرى العبور الذي ذاق بسببه المصريون حلاوة النصر، والذي برهن على قدرة المصريين على القتال بعد نجاحهم في اختراق أقوى حاجز دفاعي (خط بارليف) الذي أقامته إسرائيل في قناة السويس، والذي بسببه لقب السادات ببطل العبور. ولكن لا يمكن أن نتغافل أن يوم ٦ أكتوبر هو أيضًا نفس اليوم الذي شهد مصرع بطل العبور برصاص الغدر أثناء احتفاله بالذكرى الثامنة للنصر عام ١٩٨١ على يد الملازم أول خالد الإسلامبولي وآخرين منتمين لجماعة الجهاد التي أعلنت مسؤوليتها عن الحادث.

كان حادث الاغتيال على المستوى الإنساني والسياسي فجيعة هزت العالم كله وتصدر الصحف ووكالات الأنباء المحلية والعالمية. فنهاية بطل العبور المأساوية كانت محط أنظار كل القنوات الإخبارية.

حدثت واقعة الاغتيال في وقت كانت مصر تعاني فيه من عزلة عربية ومن تدهور اقتصادي وانعدام لحرية التعبير، والتي بلغت ذروتها مع الاعتقالات الجماعية لمعارضي السادات في سبتمبر ١٩٨١.

ونعتت معظم الدول العربية والغربية فقيد مصر، كما نعى أيضا الرسامون رئيسهم الراحل وبكوه. صور مصطفى حسين مصر على هيئة امرأة تتساقط دموعها ويدمي قلبها وهي تحمل السادات وقد أسلم الروح وفي إحدى يديه غصن زيتون. ورسم صلاح جاهين الرئيس الراحل جمال عبد الناصر يرحب بأنور السادات وهما فوق السحاب في هيئة ملائكية. ورسم ناجي كامل حمامة السلام تبكي السادات، بينما يؤكد مصطفى حسين أن السادات لم يمت لأن كل المصريين "السادات".

---

(١) رانيا صالح:

Rania Saleh. (2004). Egyptian Political Cartoons: Evolution and Impact As Seen By the Cartoonists Themselves, M.A. Thesis, Department of Journalism and Mass Communication, the American University in Cairo.

شكل ١٧٦: اغتيال السادات ١!
(صباح الخير، ١٥ أكتوبر ١٩٨١)

شكل ١٧٧: اغتيال السادات ٢!
(الأهرام، ٧ أكتوبر ١٩٨١)

شكل ١٧٨ اغتيال السادات ٣!
(صباح الخير، ١٥ أكتوبر ١٩٨١)

شكل ١٧٩: اغتيال السادات ٤!
(صباح الخير، ١٥ أكتوبر ١٩٨١)

وعلى الصعيد الآخر، ظهرت ملامح التشفي من قبل بعض الدول العربية، فقد أظهروا فرحهم وسرورهم بخبر اغتياله. وتعليقًا على هذا رسم صلاح جاهين كل من الرئيس الليبي معمر القذافي والرئيس الفلسطيني ياسر عرفات وهما يرقصان فرحًا تغمرهما السعادة بعد معرفتهما بالحادث الأليم، ويقف أمامهما شخصية صلاح جاهين الكاريكاتورية "درش" يخاطبهما قائلًا: "أمور يضحك السفهاء منها..ويبكي من عواقبها اللبيب".

شكل ١٨٠: اغتيال السادات ٥!

"أمور يضحك السفهاء منها..ويبكي من عواقبها اللبيب!"
(الأهرام، ٩ أكتوبر ١٩٨١)